المليونير الفقير

مديرة الدار: هاجر علاء (Jo)

01066392197

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

وأي إقتباس، أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، أما حقوق الملكية الفكرية والآراء، والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

اسم الكتاب : المليونير الفقير

تأليف : نورة طاع الله

الطبعة : الأولى

تنسيق : ممدوح الليثي

رقم الإيداع : 2025-8837

الترقيم الدولي : 978-977-95-6441-0

أحيانًا يكون المال نقمة لا نعمة، ورغم هذا دائمًا وأبدًا نرى الدنيا والسعادة والهناء كله متمركز واقامته عند المال ولا غير المال، معتقدين كل الاعتقاد أن الفرج السحري الذي نقول له كن فيكون موجود في المال، ناسين أن ملذات الحياة الحقيقية الجالبه للراحة والسعادة للإنسان ليس هو المال ولا الغنى.

الشيء الذي يعاني منه الإنسان وبالأخص الفقير دراهم ودنانير تلبي له المفقود.

صحيح أن المال حل لبعض المشاكل ووجوده حتمي وضروري في عصر الماديات.

كلنا نجري وراء المال نتعب، نعمل، نشقى، نجاهد، فلا بأس في ذلك وبهذا فالعمل عبادة ولا بد من التعب والشقاء؛ لأن الحي يتعب ويشقى والحياة تتطلب منا هذا.

هناك من يجاهد سنين أو أقل أو أكثر ويزوره المال لا يبخل عليه بالزيارة بطرق الباب والاقامة عنده، وهناك المال الذي يتراجع عن

التقرب من محيطه وهذا الأخير يرجح غياب المال عنه لنقص فيه ومنه وهذا بالعكس تمامًا، فبساطة المال مال الله يمنحه ويعطيه للذي يشاء من عباده في الزمان والمكان الذي يريده.

الفقير دومًا ينتظر السماء تفتح له أبوابها لتنزل عليه المفقود والذي طالما يعيش وعاش يبحث عنه، ويتمناه ويدعو سوى به وينتظره طويلًا.

والرب لم يبخل على هارون الاستجابة لأمنيته الوحيدة وتقبل دعائه الخاشع ووقت الفرج لم تحن بعد ولم تحدد.

وفي أمسية من الأمسيات الباردة المنتمية إلى الشتاء الصعب المغطاة بالثلوج التي أحجبت عن الأبواب وعن ما وراء الأبواب التحرك نحو الخارج، كان الرجل صاحب الثانية والستون من عمره السيد هارون، يحاول جاهدًا تصليح المدفئة للاستغاثة بها من عذاب الجو الذي كاد يقتل أفراد وأصحاب المنزل، المنزل الشبيه بكوخ كبير، كوخ في التصميم والهندسة وبيت صغير في الحجم.

أخذ تصليح المدفئة القديمة جدًا من السيد هارون ساعات وصلت إلى وقت متأخر من الليل، ورغم نداءات الزوجة سعاد بالتخلي عنها ورفع يده من عليها وتعليق راية الاستسلام منها؛ لأن اصلاحها كان تعطيل للوقت وتبذير الجهد في شيء لا يستجيب للجهد. ولا الجهد يجني نفعًا منه وينحني له.

رغم نداءات ومحاولات الاقناع المتواصلة التي قامت بها سعاد مع رب بيتها هارون إلا أن الأذن عن السمع كانت بعيد وتائهة. فهارون يفرغ معاناته من الفقر والحياة وفي نفس الوقت يخبأ معاناته عما حوله وغضبه في نزع وتركيب قطع غيار السيارات.

ماذا يفعل مسكين مثله في مثل هذه الظروف؟ فالحمل ثقيل، ثقيل جدًا والجو بارد، والشتاء قاتل، والدفء مطلوب والأولاد الستة يشكون بالحركات والأعين عدم قدرتهم، ونفاذ صبرهم ومقاومتهم أكثر على ما هم عليه.

لجئوا إلى اضافة المزيد من الثياب على أمل أنها تدفئهم وتعينهم وتساعدهم في الدفء والمقاومة، ثياب قديمة، من قدمها تمزقت ورقت ولم تعد تفي بالغرض مُطلقًا لكن ليس هناك مخرج ولا حيلة ولا بديل.

الثلوج في النزول مستمرة، لم تتوقف منذ أيام وليالي.. وكلما تساقطت وتساقطت واستمر تساقطها كلما الوضع يسوء ويرعبهم بحلول الجوع، الجوع الذي من قبل يلازمهم وازداد مع تساقط الثلوج..

أسر الثلج للأهالي في القرى والأرياف أيام طويلة. وكل شيء متصل بالحياة مقطوع منذ أيام كذلك.

في عز هذا البرد، في عز هذا الجوع، في عز هذا الفقر والاحتياج الشديد، عائلة هارون كانت متماسكة وكثيرًا تتحمل وفوق الصبر تصبر، وصابرة وفي نفق الصبر الوعر الصعب يواصلون الصبر.

الحال صار لا يُحتمل؛ البطن تصرخ والجسم يبكي بردًا وجوعًا. الثياب من البرد تشتكي والجسد منهما الاثنين مسجون، والكلام عندهم مربوط، واللوم يلوم ولا يفصح ويوضح.

مدارس، دراسة، تعلم كل شيء تعطل فماذا عن تعطل وانقطاع مصبرات البطن والجسم والمكان..

الوضع صعب جدًا ويزداد صعوبة.. لا صبر لا قوة على المقاومة أكثر. إلى طريق الموت السريع، البطيء معًا نمشي ونسير والنهاية قريبة، فالحال يسود والجسم في ضعف ويضعف أكثر وأكثر، يستسلم مباشرة.. هذا ما كان يرونه، يشعرون به، يتداولونه فيما بينهم ومع أنفسهم.

الأب تائف، الأم تائهة، تائهين... تائهون هم، يتخبطون في حيرةٍ وضعف، يتخبطون مكتوفين؛ فليس بأيديهم سوى الدعاء باستمرار، واللجوء لربّ السموات ومالك الأرض.

الأمل بدأ يسحب أقدامه إلى الخارج، والتفاؤل قد انصرف، والإصرار رحل بعيدًا.

الأمل يرحل، بالقرب من الرحيل الأبدي، وكل فرد من أفراد هذه المعاناة يتوسلون له بالبقاء، وهو لا يسمع، لا يستجيب.

فجأة، صوت فوق السقف الهش بالخارج يدوي؛ ما هذا؟ رعد؟ أم عاصفة؟ أم ماذا؟ شيء جديد من الكوارث الطبيعية، جديد بالجديد علينا، لا نعرفه أكيد، وقد جاء ليتعرّف علينا ولإنهائنا دفعة واحدة.

من النافذة الصغيرة المطلة على المزرعة يحاولون الوصول إلى هذا الصوت؛ إلى اكتشافه ومعرفته وتهدئته، الفضول والتقليل من الخوف وحالات أخرى لا تفسر مع بعضها البعض مختلطة..

أصوات بشر من مكبر الصوت تنادي تقول نحن هنا؛ لإنقاضكم، لمساعدتكم..

هل هذا حلم؟ لا، لا هذا قدر، هذا فرج، هذا حظ ورزق جاء أخيرًا.

فعُد يا أمل، عُد.. عاد برضا، بقناعة بقبول الأمل، الأمل إلى مأواه رجع ليس كما رحل..

منال: أبي، أبي ها قد جاؤوا؛ لانقاضنا واحيائنا وطرد الموت من أراضينا وحتى من أفكارنا وخيالنا..

جاؤوا يا أبي. سلمى متأكدة تنبئها أخبرني وها أنا أخبركم به..

سننجو أخيرًا لا تخافوا، محمود يبشركم وعلى خُطى العودة إلى الحياة نحن نسير مجددًا فعلي احساسه يقين، صادق، حقيقي لا يخدع ولا يكذب..

حمدًا، حمدًا، حمدًا، حمدًا يا رب حمدًا.. معي مع اليأس أحمدوا وأحمدوا فالله لم يتركنا..

عقارب العمر تنبض من جديد، بداية معي ومني أنا فاروق وصولًا إليكم.

سعاد: أبنائنا أقوياء، أولادنا شجعان، وأبطال هذه الأزمة وهذه الظروف.

بسرعة البرق يا شجعان، يا صبيان نجتهد ونتكاتف ونزيل الثلج من على باب المنزل لنستطيع الخروج ومعرفة ماذا يحدث بالخارج.

طائرات عسكرية فوق السطح. بسماء الريف تطير وتحوم على البيوت والعائلات توزع عليهم ما يحتاجونه، تزودهم بالمؤونة اللازمة لهذه الأزمة الجوية الشتوية الطبيعية وذلك برمي الضروري على سطح المنازل وأمام البيوت.. ونزول العسكريون بمعدات حديثة لمساعدة الأهالي في ازالة الثلوج المحاطة بهم والمحاصرة لهم...

منظر جميل لتعاون وتضامن رائع شهدته قرية وريف أولاد سلطان وقتها.

اليد في اليد، والحماس كبير، والجهد أكبر،أعمال وتصرفات ومبادرات مبهرة لمساهمات معنوية ومادية وعضلية.

شيئًا فشيئًا، بالصبر، بالجهد.، بالتحمل عدت الأزمة بأضرار بسيطة، صغيرة.. فالبرد الشديد وغياب الدفء أودى بحياة أشخاص شهداء الشتاء والثلج والبرد..

عاد كل واحد إلى مشاغله، وحياته العادية بعد معاناة أسابيع..

اتجه أولاد هارون الستة إلى جامعتهم ودراستهم، فما شاء الله وتبارك الرحمن أولاده جميعهم يدرسون في الجامعة..

الجميع يشهد لأولاد هارون بالأخلاق والأدب والتميز والعلم.. وكان هارون يفتخر بهم عز الافتخار وكل الافتخار، مرتاح من ناحيتهم ولكن ليس كل الراحة، عبئهم لا يزال على كتف وعائق الوالد الفقير هارون إلى الآن..

الحياة في الجامعة تتطلب الكثير، مصاريف أكل وشرب.. مصاريف شخصية، مصاريف جامعية دراسية، اقامتهم نعم مجانية ورغم ذلك هذا لا يلغي عبء المصاريف الأخرى التي يتحملها الأب ويقدمها لأولاده بين فترة وأخرى وبالفترات القصيرة جدًا.

الأولاد الذكور دومًا كان يقنعون بل يحاولون اقناعه بأن يكف عن تحمل مسؤوليتهم التي صارت مسؤوليتهم هم وهم الذين من المفروض يتحملونها.

حاولوا أن يرضى عنهم من هذه الناحية وهذا الشق ويسمح لهم بأن يعملوا ويمتهنون أي مهنة وفي نفس الوقت يدرسون، لكن الوالد كان يخاف بأن تضيع دراستهم فيعجزون عن التوفيق بين العمل والدراسة؛ لأن بكل بساطة الجهد وعبء وتعب وصولهم إلى هذه المرتبة والمرحلة كان كبيرًا جدًا جدًا وأخذ منه الليالي والعمر والصحة والتضحيات عكس الآن فالجهد والعبء خف ليس بالكثير وإنما خف ولو بجزء من النصف التابع للدرجة والواحد من النسبة.

عاهد السيد هارون نفسه بأن يقف بجانب أولاده ويلبي لهم كل ما يحتاجونه وبشكل أحسن وأفضل إلى أن يتخرجون وكل واحد فيهم يعمل بشهادته ومستواه، ووقتها يصبح مسؤولًا عن نفسه فيطمئن القلب والبال والفكر عليهم جيدًا وتتمكن النفس من وضع هرمها على الوسادة وللنوم بكل ارتياحية.

وعد نفسه ووعدهم وهذا الوعد كان بالثقيل جدًا عليه ومع ذلك أخفى ثقله، وأظهر خفته وقدرة التمكن والسهولة في تنفيذه والوفاء به.

للسيد هارون أرض زراعية صغيرة وكان يجني منها الكثير من الرزق، فالظروف والأزمات الكثيرة التي مر ويمر بها هذا الرجل في حياته جعلته يتركها ولا يعتني بها لكثرة مصاريفها فحتى الأرض مصاريفها تفوق أي مصاريف.

ومن فترة إلى فترة، بالفترات البعيدة كان هارون يأتيه عمل في اصلاح السيارات، يقف على الطريق الرئيسي ويقعد بالساعات الطويلة على أمل أن تمر أي سيارة عاطلة فيقم بإصلاحها وجلب الرزق منها، غير أن هذا العمل وهذا الحال ليس بالحل القوي الذي منه يتحسن وضعه المزري ويلبي منه جميع احتياجاتهم الضرورية فقط لا غير.

اضطر هارون إلى السفر يوميًا إلى المدينة باحثًا عن عمل وكان مستعد للعمل في أي شيء بشرط أن يكون عمل حلال وشريف.. مرة يغسل السيارات، ومرة يحمل البضائع لأصحاب المحلات. فأينما كان هناك عمل يستجيب إليه ولا يتأخر ولا يتردد فهو الذي يذهب إلى العمل لا العمل يأتي إليه على خلاف ما يحدث مع فئة من الناس.

مرات كان يعود بأكياس بها خضروات وأكل ومرات الأيدي فارغة وهذا بعديد المرات.

الابن يحتاج ملابس، الابن إلى أدوات الهندسة يحتاج، وبشكل سريع وضروري جدًا. البنت إلى ملابس وأشياء تخصها كأنثى تحتاج كذلك.

كل هذا لا يجعل ويدع الأب المسكين قليل الحيلة هارون بأن يعرف الراحة ويتذوقها سوى أنه يعمل ليلًا نهارًا لتلبية ما يحتاجون دون تأخير.

في يوم الله استجاب للدعوات الخاشعة الصادقة الكثيرة المتواصلة الصادرة من الأب والأم والأولاد ووجد هارون عملًا كحارس لمستودع الرجل الذي كان يحمل بضائعه.. فصاحب هذا الرزق والملك رحم هارون وأعطى له عمل يناسب سنه وعوضه من حمال إلى حارس كعمل مريح نوعًا ما ومناسبًا لسنه وصحته التي هي في تدهور وتدهور مستمر.

سعد كثيرًا هارون بالعمل الجديد كان مرتاح فيه كثيرًا وتحسنت أوضاعه قليلًا مما كانت عليه سابقًل.. فالعمل الثابت ثبات للتفكير والتدبير والجهد والعمل والتعب والسعي.

صاحب المستودع كان يساعد هارون ويتصدق عليه ولا يبخل عليه في أي شيء ويعامله معاملة جيدة جدًا لم يشهدها ولم يحظى بها أي خادم وأي عامل عند هذا الرجل من قبل. فرب العمل أحب العم هارون في الله وكلما كان يراه كان يرى فيه والده المتوفي.

عمال كثر في المستودع كانوا يغارون من العم هارون وهذه الغيرة الشديدة المليئة بالحقد والحسد دفعت بأحدهم إلى التخطيط في كارثة تنهي بالعم هارون وتبعده عن المكان، وتجلب له مشاكل لا تعرف النهاية وتقطع رزقه وعمله من هذا المستودع فيخسر ويفقد حب واحترام ومعزة وتقدير رب العمل وهذا ما حدث بالفعل.

فقام هذا العامل الغيور بسرقة المستودع وجعل كل الأدلة تشير وتدين العم هارون البريء المظلوم الذي حقًا لا يستحق ما فعله معه هذا المجرم.

هارون كتف غضب صاحب المستودع فطغى حبه واحترامه لهارون، وكان القرار طرد المسكين هارون من العمل الذي حلم به وسعد به وظن بأن الحياة وما فيها فتحوا أبوابهم له ورحموه وسمحو له بأن يأخذ نصيبه القليل البسيط.. غير أن الشقاء الذي زاوله لسنين طويلة لم يرحل كما ظن وظنوا أصحاب بيته.

رجع هارون إلى الصفر مجددًا، بلى إلى ما تحت الصفر.

كثيرًا كان يبكي في ثلث ليله، ويناشد خالقه طالبًا الفرج.

صار لا أحد يقبله عاملًا عنده فالكل ينظرون إليه على أنه لص وغير أمين ومن الصعب قبوله في أي عمل كان. كان يسمع منهم أقوى الكلام الجارح المؤلم، وهو ليس باللص.

في حيرة، في ألم، في غربة حقيقية كان هارون يعيش .. ضاقت به الأسباب، خنقته الظروف، سممه الاحتياج، ربطته نظرات الناس، وسجنه كلامهم واتهامهم وظنونهم وأفعالهم معه.

استحمل هارون، فهو يتحمل، ويستمر في التظاهر بالوقوف والاستمرار دومًا رغم كل شيء، يمر ويطعن نظرات الناس بأنا هنا وهو بداخله يموت، يخجل، يستحي، ضعيف لا يقوى فمن سمعه ومن يسمعه.. ومن يشعر به ومن شعر به، ومن يبرئه ومن برئه، لا شيء من هذا حدث وكان.

الموت البطيء الصعب كان يرافق ويسكن مع هارون فتدهورت حالته الصحية، التي لم يجد لها لا الدواء والعلاج.

يبحث عن النقود بين الأحجار والأشجار والأنهار والحقول أملًا في وجودها والحصول عليها.

وفي ذلك اليوم وهو بإحدى زوايا القرية، يفكر ويتألم لحاله ويحزن لما يعيشه، وهو تائه ويتخبط في تفكيره وما هو فيه قدم نحوه رجل البريد

يحمل محفظة ويرتدي لباس رجل البريد وهو ينادي من بعيد: أتيت لك بالبشرى يا هارون.. أتيت لك بالفرج، استيقظ فأنا أصطحب معي من يعيد لك الروح والحياة من جديد. يا هارون، يا هارون، هل تسمعني يا هارون؟

نهض هارون من مكانه وحالته واستفاق ومسك الظرف من الرجل وهو يقول له: ما هذا؟ وأي بشرة في هذا الظرف البريدي الذي أتيت به؟

فتح هارون الظرف وهو يتأمل أن يجد في قلبه نقود بها يطعم الظروف ويروي الاحتياج، لكن الظرف يحمل ورقة بها أسطر تحتاج إلى القراءة المتأنية الدقيقة.

طلب هارون من رجل البريد أن يقرأ له ما في الظرف فهو لا يعرف لا القراءة ولا الكتابة، فلبى رجل البريد طلب هارون وكانت المفاجئة التي لم يتخيلها، وهو يطلب تكرار قراءة ما دّون في الرسالة ويكرر طلب التفسير والشرح لها مجددًا ومجددًا ومرات أخرى ورجل البريد يرد

عليه: بأعلم أنك لا تصدق ما قيلا وما يحمله هذا الظرف لكن هذه هي الحقيقة.

هارون مذلول، مصدوم، لا يعلم أن يصدق أم يكذب.. ليس لهارون أخ من أمه حتى أنه لا يعلم حتى أن أمه كانت متزوجة بغير أبيه من قبل أو من بعد فهو فقد أمه وهو صغير جدًا وعاش حياته الطفولية عند عمه، ولا يعلم أن كان له أخ.

اتضح من الرسالة أن البنوك الأوروبية والمحلية بعثت للسيد هارون تعلمه بأنه هو الوريث الوحيد لأخيه صالح الثري الذي له أموال وممتلكات مالية وعقارية في كذا دولة وقد مات هذا الذي يدعون أنه أخاه..

في لحظة، من ظرف بريدي، من شيء غير متوقع تغيرت حالته وستتغير حياة هارون وحياة أحبائه وأهله بمليون درجة.

شارك هارون الخبر الذي أسعده سعادة لم يشهدها ولم يشعر بها في حياته كلها أولاده وزوجته الذين لم عجزوا عن كيف الحدث كما يجب،

ففوق السعادة كل السعادة هم سعيدون.. وبسرعة إلى التخطيط ورسم المستقبل اتجهوا وكل واحد منهم باشر برصد أحلامه وترتيبها وإظهار ملامحها والكشف عن تفاصيلها ليتم تحقيقها.

سافر هارون إلى المدينة ففي الرسالة التي تلقاها وتسلمها طلبوا منه الذهاب إلى البنك المركزي لتسليم الوثائق المطلوبة وتسليمه عقود الممتلكات العقارية والمالية المتواجدة هنا..

وفي غضون يومين كان هارون وأسرته قد رحلوا من كوخهم وتركوه مع النار الملتهبة التي أشعلوها وأشعلوا معها ذكرياتهم المأساوية البشعة الصعبة الحزينة متجهين إلى المنزل الموروث، الذي هو قصر بحجمه وكسوته وضخامته وبنائه والموجود بداخله من أثاث وأغراض فاخرة باهضة الثمن.

لم يحلموا قط بمثل هذا القصر ولم يتخيلوه حتى ولم يرو مثله من قبل، والقصر في المدينة وقريب من جامعة الأولاد.

منزل كبير جدًا، وضخم، واسع، وبه حديقة جميلة جدًا.. بالداخل فرش وأثاث فاخرة لا تختلف أبدًا عن فرش وأثاث الملوك.

هارون وأهله قفزوا قفزة واحدة، ولا يدركون ويعون أن كانت قفزة شرعية أم غير شرعية، قفزة من الفقر نحو الغنى الشديد والثراء الفاحش.

بالقصر خدم يخدموه رغم غياب مالكه.

غرف كثيرة وكبيرة نالت انبهار واعجاب الأولاد، في الغرف كل شيء قد لا يخطر على البال.. وبهذا القصر ثلاث سيارات كل سيارة بلون وماركة عالمية وشكل وحجم وفخامة أعلى من الأخرى.

لم يعرف الأشخاص الثمانية كيف يتصرفون في ظل هذه الحياة وكيف يتعاملون مع هذا الرفاهية.

كل شيء متوفر؛ أكل، شرب، بالخزائن لابسة بكل الماركات العالمية.

هذه هي الحياة وهذا هو الحظ لا بد أن يستجيب ويكافئ المنتظر على انتظاره الطويل.

الذي حدث مع هارون حظ قد جمع الحظوظ جميعها ووضعها بيده وتحت تصرفه وهو مسكها طبعًا، فهل هناك من يطرق الحظ الرائع والرزق الوفير بابه ويطرده؟

كبر النعمة التي جاءت فجأة أنستهم أنفسهم ومن هم.

وفوق كل هذا مال بخزنة القصر يكفيهم عمرًا أخرًا..

بسرعة كبيرة تجاوب هارون وأسرته مع الوضع الجديد، وهارون لم يصر أحد يعرفه لملابسه وتغير شكله كثيرًا، وأولاده الستة كل واحد وسيارته الخاصة ناهيك عن الأشياء الأخرى ومن أغنى الطلاب بالجامعة صاروا.

لم يعد هارون يعمل ولا يبحث عن عمل من الآن وصاعدًا، لا يفكر في مصاريف أولاده ولا يحتار، لا ظروف، لا احتياج يخنقه، وحياة تحزنه،

سوى السعادة والراحة الكلية كانت معهم في هذه الحياة الجيدة الجديدة التي هي فوق الرائعة بكثير.

هارون الذي لا يعرف سوى قريته والمدينة التابعة إليها قريته، أصبح من بلد إلى بلد يجول ويزور ويسافر ويتنزه.

في ظرف أشهر وصلت إلى ستة سنابل تمكنوا وأسرعوا من فعل والوصول إلى كل شيء حلموا به ولم يحلموا به حتى، ومن الطبقات المخملية الثرية الغنية جدًا صاروا.

لم يستغل لا هارون ولا أولاده فكرهم وعقلهم في تشغيل واستغلال هذا المال والثروة في مشاريع تجني ويجنون منها الأضعاف مما تحصلوا عليه ويكبر المال والثروة التي عندهم لا تنقص.

غير أنهم لم يفكروا في ذلك واستغلوا التفكير والوقت سوى في الاستهلاك المتزايد الكبير جدًا دون جدول حسابات ينبههم بقرب وصول الاستهلاك إلى الخط الأحمر، لكن ببساطة هم أخذوا الجزء القليل من الثروة والتركة التي ببلدهم وبقيت نسب كبيرة وضخمة من

التركة خارج الوطن تأخرت لإجراءاتها الدقيقة ومن هذا المنظور فكروا واستعانوا بالاستهلاك فقط.

لم يبقى علي هو علي، وفاروق هو فاروق، ومحمود هو محمود، والياس هو الياس، فالمال والثروة غيرتهم كثيرًا وغيرت حتى طبعهم، الأخلاق والأدب والصلح عندهم .. ومع الحياة القديمة راحت وضاعت واحترقت مع ضياع واحتراق الماضي اللعين الذين أحرقوه بأيدهم، بإرادتهم، ببنزين الوداع والتخلي والقسوة وعلى هذا الماضي..

لم تعد الدراسة والجامعة أول اهتمامهم كما في السابق..

طغت عليهم ملذات الحياة والرفاهية والوقت سوى يستغل في اللعب والمرح والترف، وحتى الذهاب إلى الجامعة للدراسة لم يعد شيء كهذا وأن ذهبوا يكن الذهاب لغرض استعراض ما يملكون ومن هم فقط.

النساء والملاهي والحياة المحرمة الشاهد الوحيد على ظهورهم كثيرًا ووجودهم في عالمها وأماكنها.

أموال لا تحسب، لا توصف، مبالغ لا تصدق صرفت وتصرف من طرف هؤلاء الأولاد الذين لم يعودوا يعرفون أنفسهم وضاعوا في متاهة وخمر المال والثروة.

حتى منال وسلمى لم تعد الدراسة تعني لهم الكثير.. فالمال في نظرهم كل شيء ويحل محل كل شيء، ويعوضهم، وعوضهم عن كل شيء فعلًا. والحقيقة هي غير الحقيقة التي يدعونها ولم يغوصو فيها جيدًا.

المال لن يجعلهم يحتاجون إلى أي شيء، حتى العلم والمعرفة لن تفيدهم بعد الآن، لم يستغلوا المال في تطوير علمهم، أغبياء كانوا، عقولهم عقول صغير مغطاة بالجهل والغباء.

والأب صاحب الذي تسبب في طرده من عمله كحارس في المستودع وهو الآن صديقه المقرب.

بدأ هذا الرجل الذي يدعى سعيد في عمليات النصب والاحتيال والنهب على هارون بطرق ذكية وقانونية.

ففي كل عملية نصب كان سعيد هذا الرجل المحتال ينجح بسهولة، فسعيد كان يشتري السهولة مجانًا من جهل هارون للقراءة والكتابة.

فعدم معرفة هارون للكتابة والقراءة رفع من نجاح المحتال في عمليات نصبه واحتياله وفي ارتفاع وتيرة هذه العمليات بسرعة كبيرة، في فترة قصيرة دون تفطن وانتباه هارون.. وكذلك الثقة العمياء التي وضعها هارون في يد سعيد وفي قلبه فتحت الأبواب أمام سعيد مع اختياره المسلك الذي يسلكه كل مرة في عملياته الإجرامية..

فكان سعيد يوهم هارون بأنه يقوم بصفقات كبيرة ستجعله أغنى رجال العالم وهو يسحب منه ما يملك شيئًا فشيئًا.. وزوجة سعيد من جهتها تنهب وتنصب على سعاد زوجة هارون التي طيبتها المفرطة وحسن نيتها في كل شيء، جعل زوجة سعيد كزوجها تجد السهولة الكاملة في اللعب معها وعليها على جميع المستويات والأصعدة..

فكانا الزوجين أغبياء جدًا لجهلهما وأميتهما وطيبتهما في تصديق سعيد وزوجته وحتى هناك أشياء لا تحتاج للكتابة والقراءة، وإنما إلى عقل،

وانتباه، وتفطن، وحذر، وذكاء.. هارون وزوجته كانا غافلين كل الغفل ومسلمين كل التدبير لسعيد وزوجته دون شعور وإدراك لذلك مطلقًا، بعد أن كسبو ثقتهم العمياء وجسدوا لهم واقع على أنه حقيقي وهو وهمي، وكله وهم مليء بالكذب والخداع..

زوجة سعيد كانت تأخذ المجوهرات من سعاد إلى محل مجوهرات يتعامل معها ويقوم بصنع نفس ومثل مجوهرات سعاد فالشكل يكن ذهب وألماس ويخدع البصر والمضمون مزيف.. وزوجة سعيد تأخذ المجوهرات الأصلية وتسلم لها المجوهرات المزيفة.

كان هارون يستغرب في الناس الغنية ويقول بغضب منهم واستغراب ودهشة قوية لما هم هكذا بدون ضمير، بلا رحمة، بلا شفقة، ولا يرون أخوتهم الفقراء إلى أن جاء الوقت الذي صار هو منهم والناس له تستغرب وتقول مثل ما كان يقول بالضبط وأكثر من ذلك.

الميراث غير من هؤلاء الناس البسطاء الفقراء كثيرًا الذين لا يعرفون العيش سوى مع البساطة وببساطتهم مع فقرهم وبفقرهم كانوا بسطاء

وأغنياء بداخلهم كثيرًا، والآن هم فقراء بافتقادهم وتضييعهم وتخليهم عما كانوا أغنياء به.

لم يبقى هارون الرجل المسكين الطيب الحنون، البسيط، تغير كل التغيير وتخلى كل التخلي عن مميزاته وصفاته وخصاله النادرة الرائعة الربانية التي كنوز الكون لن تشتريها وتوفرها.

هذا ما كان يعتقده هارون وزوجته وأولاده أن المال كل شيء هو القلب، هو العقل، هو الروح، الإنسان، الدنيا، القانون، الحياة، الوجود، المعنى وكل المعني. هذا ما غيرهم.

هذا الاعتقاد بالطريق الوعرة الصعبة أدخلهم وهم يمشون ولا يعون، يسيرون ولا يدركون، لا يتوقفون ويجهلون.

لم يتراجعوا في السير في هذا الطريق، مستمرون كل الاستمرار.

قد يكونوا اكتسبوا احترام الغير لهم الذي هو من أجل ما عندهم، لكنهم ضيعوا احترامهم مع أنفسهم ولأنفسهم ومع بعضهم البعض ومع الغير وللغير.

ضاع الحس الأسري الذي كانوا يمتازون به، ضيعوا جمعتهم الطيبة الصادقة المتماسكة الممتازة، أصبح كل واحد يفعل ما يحلو له دون رقابة وإذن كما في السابق، باعوا عقد الاشتراك والمشاركة التي كانت بينهم. اشتروا رفقة المال، أحرقوا الصراحة وكونوا أسرار وكذب بينهم..

فعلًا ها قد وجدوا الذي كان يعيقهم، الذي كانوا يحتاجونه ويبحثون عنه. لكن مقابل ما وجدوه ضحوا بالكثير وتنازلوا على الذي لا تنازل فيه هذا ما يفسره اللازم والمضمون.. تركوا الذي لا يُترك، وغيروا الذي لا يغير، أصبحوا الخطأ والغلط.

نسوا كيف تربو على ماذا تربو، ما تعلموه من الظروف والاحتياج، ما اكتسبوه من ماضيهم الذي ينادونه سوى باللعين، هذا اللعين كان

يظهرهم للعيان أحسن البشر، أقوى الناس، فقد كانوا بالأغنياء لا بالفقراء بكفاحهم، بكرامتهم هم أغنياء بإيمانهم، بإرادتهم ..

كل هذا في الماضي البعيد تركوه ودفنوه.

استيقظوا على واقع جميل أي نعم.. وحياة سعيدة لكن ليست بكل السعادة، أخذو سعادة المال، وتركو سعادة الإيمان، والنفس القوية، والذات الصامدة.

أحبو تلك الراحة ولم يعودوا يشتاقون للجهد الذي من خلاله كانوا الصمود والشجاعة كلها.

المال الذي بحوزتهم وكأن به نار تحرق أوراقه بسرعة ما يتم وضعه بالجيب يخرج ولا يعود وهم لا يشعور.

عمر المال قصير جدًا، لا يعرفون كيف يجعلون من هذا العمر يكبر ويزداد، هل لأن كل شيء جاء على الجاهز؟ أكيد هو كذلك.

سبحان الله في الكلام، كلامهم سوى عن المال، تصرفاتهم، تفكيرهم مال، حلمهم مال، حياتهم كلها مال وما فيها مال وفقط.

وقت الرفاهية يمر بسرعة البرق، ويظن الذي عنده المال أن المال كل شيء ويحل محل كل شيء ويعالج كل شيء، ومهما يفعلون كأنهم لم يفعلوا لأنهم أصحاب مال وثروة.

الشجاعة الحقيقية ليست الشجاعة التي يأتي بها المال وإنما الذي تأتي بها الصعاب والظروف والاحتياج والفقر، فهذه هي سعادة هارون وأهله، مال وقصر وكنوز وممتلكات وسيارات و...

حتى المال يصدمنا وينزلنا من السطح إلى القاع..

رغم تصريحات وتنبيهات المحامي وتحذيراته للسيد هارون وبخطورة ما سيقدم عليه إلا أن تأثير الثروة كان أقوى واستولى على هارون وانتقل إلى الحياة الجديدة قبل أوانها وأخذ الإذن من رغبته ونفاذ صبره.

أي نعم هارون ورث، لكن وقت السماح له بالتمتع واستغلال واستعمال ما ورثه لم يحدد بعد، ولم تعطى له الصلاحية في ذلك بعد.. ولم يؤذن به بعد ما دامت اجراءات نقل الملكية لم تنتهي بعد بحكم أن أخاه لم يكن رجلًا عادي وإنما كان رجل أعمال كبير وما يملكه لا تنحل اجراءاتها بين ليلة وضحاها.

غير أن إلا أن هارون استعجل وعجل فيما كان فيه التأجيل ضروري والزامي وانتقل إلى قصر أخيه وأقام فيه، واستغل واستهلك كل ما فيه دون الانتظار إلى أخذ الإذن..

وطيلة خمسة شهور وأكثر وهو يعيش حياة لم تمنح له بعد وليست من حقه بعد.

فمن كوارث البشر أنهم يفتحون على أنفسهم نيران هم صانعوها.

لا أحد يستطيع الاستغناء عن هذه الدنيا وهذا العالم بعد زيارته والتذوق والأكل من كيكته الحلوة الشهية المزينة بكل فواكه الأرض.

لا أحد يستطيع الانتظار والتأجيل ليكون ضمن ما انتظر طويلًا.

الفرج عندما يأتي ينسينا في شيء اسمه تمهل، انتظر، أجل رجاءًا، ليس هناك شيء اسمه من هذا القبيل موجود ومتوفر سوى اقتحام باب الفرج سريعًا والأخذ منه ما تيسر.

الواقع رعب والحقيقة خطيرة ومدمرة، وهاذين الأمرين غالبًا لا ينكشفان بالأحرى لا يلتفت إليهم البصر والذهن والسمع والتركيز إلا مؤخرًا.

اكتشاف المستور الملعون بدأ يلبس الثياب ويتهيأ للخروج من بئر الستر عنده والتجول في أراضي الغافلين..

لم يعد الابن ابن، ولا البنت بنت، ولا الزوجة زوجة، لا الزوج زوج، ولا الأب أب، ولا الأم أم في ظل الماديات.

الأسرة تتفكك، الحال بينهم يسوء، كل شيء تغير في لمحة ولمسة وتجربة..

ولدت أوجاع، النوم لم يصر هو نفسه النوم، لا أحد منهم يتذكر الوضع السابق وكأنه لم يكن فيه ومن لحظة الولادة إلى الآن وهم بنفس الغنى والحياة.

سابقهم باللعنة والسب والشتم عليه لا يتوقفون، ناكرين الوضع السابق الذي جعل منهم رجل وامرأة.

بفضل حالهم درسوا ونجحوا، وبفضل المال ها هم من الدراسة والنجاح يتخلوا وينسحبون.

بفضل حالهم السابق حلموا وتمنوا، وبفضل المال بلا حلم بلا أمال يفيقون وينامون.

بفضل حالهم السابق تربو وكبروا، لا بفضل المال والثروة التي هم فيها.

بفضل حالهم السابق تضامنوا وتكاتفوا، وبفضل المال انفصلوا وكل واحد لوحده وهم بنفس المكان.

بفضل حالهم السابق تحدو وأصروا، وبفضل المال تلاشى وتبخر الذي كان.

بفضل حالهم السابق يحمدون ويشكرون، وبفضل المال هم يكفرون وينكرون.

بفضل حالهم السابق إلى الله هم قريبون، بفضل المال قل إيمانهم وعن الله هم بعيدون.

بفضل حالهم السابق يتعبون ويجتهدون، وبفضل المال مرتاحون ولا يجتهدون.

بفضل حالهم السابق على أنفسهم يعتمدون، وبفضل المال على المال يتكلون ويرتكزون.

بفضل حالهم السابق متواضعون، وبفضل المال هم يتكبرون ويتعالون.

بفضل حالهم السابق لمثل حالهم وللغير يحسنون، وبفضل المال هم يسيئون.

بفضل حالهم السابق هم بريئون، وبفضل المال هم مذنبون ومجرمون.

بفضل حالهم السابق هم مظلومين، وبفضل المال هم ظالمون.

كل منا له ماضي وحاضر وسيكون له مستقبل. فسوى عائلة هارون عندها الحاضر، لا ماضي تعترف به ولا مستقبل تفكر وتجتهد وتدبر له.

الرفاهية الضخمة يكثر فيها التوتر، والمشاكل، والحيرة فالمال نور وظلام، خير وشر، كسب وخسارة، نفع وضر وخطر.

في حياة الرفاهية يكثر فيها الحذر والتجنب لا يقل، والحقائق تنكشف بين الحين والآخر، الخداع لا ينتهي، الخيانة موجودة دومًا...

الكذب سوى الكذب له القسط المعتبر والوفير، الكذب على الذات والقريب قبل الغير والغريب.

الصدمات تتهيئ للولادة من جديد وبالتواجد بأحضان هارون ومن معه.

المر من الحلو يتسلل ويسحب الحلاوة بالخفاء دون انتباه منهم.

والمصباح بدأ يضيء نوره شيئًا فشيئًا، والظلام يعد بالإقامة قريبًا، فالطريق إلى عنده تعد الخطوات الأخيرة للقدوم والوصول والحلول.

والفكر الخادع الخائن لدى الرجل الشرير المختبئ وراء ثوب الصداقة الوفية المخلصة الملطخة في حقيقتها بنصب واحتيال يتجهزون للتواجد في حفلة اقفال الحسابات وبدأ حفلة الأخذ والاستلاء.

أُذن هارون لا تسمع والحقيقة أكلوها بفم وأسنان الاستعجال وببطن حياتهم، هي تلاحقهم وتسبب لهم الأوجاع والألام والأزمات.

هم يظنون أنهم كل السعادة ملكوها وهم كل التعاسة والحزن يجتمعون فيها. من تلك العالم والحياة والواقع يتهربون وهم لا يعون أنهم يهربون ويتهربون وهم بنفس المكان.

جاء وقت الحساب فهل من مستعد؟ هارون غافل، يستغفل، مخدر بالمال والثروة فمن سيفيقه؟ يجعله يستيقظ مبكرًا وسريعًا هي كشف الحقائق وعلاجها من قبل المختصين المعنيين.

صدقًا كل شيء له بداية ونهاية. فالبداية بدأت ورسمت نهايتها مبكرًا، النهاية تطرق الباب حتميًا يبقى فقط فضول رؤية هيئة النهاية في أي شكل ستظهر وتكون...

أظرفة التنبيه، ورسائل النصيحة والتحذير كانت توضع بيد هارون كثيرا وعلى فترات وهو من يده يسقطها مرة. يمزقها مرات لا يفتحها، مرات يرميها وهذه الأظرفة بها الرسائل التي تنفع وتبشر بأن الأتي جميل جدًا وأبدي إلا أن العقل الذي يفكر ويتريث، والنفس التي تهدأ والرغبة التي تنتظر كانت مفقودة عند هارون ومن معه.

نتائج التسرع، عواقب التسرع بدأت تخلع ملابسها وتنزع الأقنعة فموعد المحاسبة قد حان، والعقاب شديد، فلا نفع بعد الآن من غلق الباب والنوافذ وسد الثغرات.

وفي ذلك يوم، وفي ذلك الصباح الجديد وقع ظرف تنبيه جديد وأخير في يد السيدة سعاد.

انصدمت لما علمت بما يحتويه الظرف المرسل من البنك المحلي، فهارون لم يخبرها بأي شيء عن التنبيهات والتبليغات التي كان يتلقاها من البنوك بخصوص ألا يتهور ويتصرف في جزء الميراث المقدم والممنوح له بصفة مؤقتة وذلك بعد اتمام الاجراءات، وهارون لم يمتثل لما يتضمنه التبليغ والتنبيه.

وبعد معرفة سعاد كل الذي يخفيه هارون دون تردد منها وبسرعة البرق واجهت هارون لتفهم منه الموضوع جيدًا ويطمئن قلبها الذي كان خائف جدًا والنبضات ترتجف.

هارون في الأول أنكر ما تقوله سعاد إلى أن وضعت رسالة التبليغ أمامه، سكت الزوج، وتوقف عن الانكار وتكلم؛ ليفسر لها كل شيء.

فهارون عندما جاءه خبر أن هناك أخ له من أمه قد توفي وليس له أقارب سوى زوجته التي طلقها قبل وفاته وأن هذا الأخ غني وثري جدًا وله أملاك العديد من البلدان.

فالرسالة الأولى التي جاء بها رجل البريد إليه وهو يبشره بالفرج العظيم ..كانت البنوك والجهات المختصة التي ستسلم ما تركه المتوفي إلى أخاه الوحيد هارون أن يسلم أوراق معينة ليتأكدوا جيدًا من هويته وصدق القرابة الموجودة وأن هناك فعلًا صلة قرابة بينهم..

وأن الاجراءات ستثبت ذلك وصدور أمر وأذن التصرف بالميراث كله سيأخذ فترة معينة لم تكن بالمحددة، وهذا ما فعله هارون جهز وثائقه وسلمها لمحامي المتوفي الذي كان يتابع الموضوع عن قرب ويوافي هارون بكل جديد وبكل صغيرة وكبيرة في هذا الشأن.

ولما سلم البنك المحلي ما كان يملكه المتوفي هنا لهارون بالوثائق والأدلة بأنه استلم جزء من التركة مع وضع شرط عدم التصرف إلى حين السماح بذلك، غير أن هارون لم يمتثل ويطبق الشرط وقام بخرقه

وتعداه وأخذ عائلته وانتقلوا إلى القصر وقام باستهلاك التركة هو وأفراد أسرته مع نسيان أن هناك شرط لا يمكن مخالفته بأي حال من الأحوال.

هارون لم يكن خائفًا مطلقًا بشأن هذا الأمر بحكم أن معرفته في هذه الأمور محدودة وشبه منعدمة وليست له ثقافة قانونية بتاتًا، فرغم توضيحات وشرح المحامي للأمر إلا أن الطمع ونفاذ الصبر عند هارون للشيء الذي كان يدعوه إلى الانتظار والاستمرار في الانتظار ويبعده عن التمتع والخروج من الحياة المزرية إلى أفضلها بكثير قد جاء وهو فيه ومعه، فاستعجال هارون واحتياجه الشديد جعله يجهل ويعاند الصح وهو يعلمه إلا أنه يرفض استيعابه.

تغافل ولم يدرس عواقب هذا التصرف والإقدام على هذه الخطوة الجريئة الخطيرة.

تسرع في التفكير والتدبير وأخذ القرار، وأخذ سوى بمبدأ استغلال الفرصة في الحين مع يقينه بأن كل شيء له فلما الانتظار.

اقتنع أن له أخ من أمه فرفض التأجيل، وسارع بتطبيق ما أملاه عليه هذا الوهم والخيال واليقين المزيف الذي أنجبته رغبته الشديدة في التحرر والاستقلال من مصيره السابق.

كما أقنع نفسه استطاع أن يقنع سعاد بكل المقاييس بما قيلا من طرفه وهي اقتنعت كل الاقناع وأقفلوا الموضوع.. وككل مرة مزقوا رسالة التبليغ التي كانوا يعتبرونها وكأنها حسد يلحق بهم ليهدم حياتهم ويزلزلها ويزعزعها.

برمي هذه الرسالة يعتقدون أنهم أحرقوا ذلك الحسد وثبت كيانهم ووجودهم بهذه الحياة الجديدة.

الرفاهية بدأت تنسحب من أحضانهم ومن معانقتهم الشديدة لها ولهم، جميعهم اتحدوا معًا، السعادة، والراحة والمتعة. جميعهم في زيارات متتالية ومباشرة يتجهزون ومعدات الانقلاب حضرت.

مشاكل الأولاد ومصائبهم، وخداع الغرباء الذين هم بالأقرباء وتسديد الدين ودفع الثمن، والكل اجتمعوا في حقائق، حقيقة تلي حقيقة وواقعة

تلحق بواقعة وصدمة تسبق صدمة والمفاجئات تغير اسمها ومحتواها إلى مفاجعات قوية وقاتلة.

الوحل الوعر، والنهر المغرق الخانق، والغرفة المظلمة المخيفة، والحياة الصعبة المرة قد أوقع هارون نفسه فيها والآخرين معه.

تراكم الديون وضخامتها، شيكات بدون رصيد وباسم المتوفي، صفقات غير قانونية ووهمية، وقوع في نصب واحتيال، اختراق البنود وشروط وثيقة الميراث، تعدي على ملك الغير.

أصحاب الديون يطالبون بما لهم بالدليل، فعلي وفاروق كانا يأخذان المال من معارفهم الجدد أثناء لعبهما للقمار والياس أخذ قروض من البنوك لإشباع المظاهر والدخول في صفقات فاشلة ولا وجود لها أوهموه اللصوص والمحتالين.

ومحمود يصدر شيكات بدون رصيد وباسم العم المتوفي. فالمال الذي كان متواجد في البيت لم يتبقى منه دينار واحد.

ولأنهم يرفضون الرجوع إلى الوراء بسبب نفاذ المال والنقود التي بحوزتهم حاليًا بالقصر، أودى بهم هذا الخوف إلى اللجوء إلى هذه الطرق؛ لتحصيل المال والاستمرار في نفس الحياة ما دام الملايين من الملايين في طريقها إليهم.. فتدينوا وعاشوا الأسابيع الأخيرة بالدين ومال الغير والحصول على ما يريدونه بالتعهدات الورقية بالتسديد في القريب العاجل، فالذي دفع بهم إلى فعل كل هذا هو اليقين، يقينهم القطعي بقدوم الممتلكات المتبقية، قادمة حتمًا لا محالة ولا احتمال لافتراض وتوقع العكس..

وعندما تجتمع الفرحة والحزن معًا، تأتي الصدمة، تحضر المشاكل وقت السرور، يغيب الأمن والاطمئنان والأمان. وينتهي كل شيء دفعة واحدة وكأن كل الأشياء متفقة وعقدت اجتماع مسبقًا بنفس المكان وبنفس الوقت.

شاء القدر أن يعش هارون فرحتين هو وسعاد ولكن ليس في توقيتهما الصحيح، فسلمى ومنال أخيرًا سيميزهما الأبيض، والخاتم الألماس المبرق بالاصبع.

ها هم يجهزون يتجهزون إلى مراسيم زواج البنتين معِا من أخوين توأم أولاد الوزير السابق رجل الأعمال حاليًا.

قرر هارون وسعاد بألا تمر هذه الفرحة المميزة بشكل عادي، وأن يُقام لهما عرس أسطوري لم يشهد له مثيل من قبل، فهل بالمستطاع فعلًا إقامته؟ المال تقريبًا نفذ، بقى القليل منه جدًا، فما العمل؟ الدين هو الحل، لكن ممن؟ من البنوك التي لن تعطي قروض وديون ثانية فقد تجاوزوا المسموح والحد.

لا أحد يعرفونه ليتدينوا منه، وصل الحل بهم باقتراح من سعيد بأن يلجأ هارون إلى صاحب المستودع الذي كان يعمل عنده هارون ومنه يتدين ما يحتاج ويتعهد له بالوثيقة والتوقيع وجميع الضمانات بأن يرد الدين قريبًا وبالفائدة، ولم يتردد هارون بالاستغاثة بهذا الحل وتم أخذ

مبلغ كبير من صاحب المستودع الذي لم يبخل عليه وبالأخص عند سماعه لعرض الاسترداد والتسديد بضرب المبلغ في ثلاثة أيام بلياليها، وجميع أوقاتها وعائلة هارون تجهز لهذا العرس الذي عاهدوا بأن لا ينسى ويبقى راسخًا في ذاكرة الناس.

لم تتخيل سلمى ولا منال في يوم بأنهما يرتبطان ويتزوجان من شخصين بهذه الشخصية والمكانة في البلاد والمجتمع وأن يُقام لهما عرس بهذا الشكل والنوع والضخامة.

كانتا سعيدتان جدًا وليس هناك عروس قبلهم أو بعدهم بالعالم أجمع مثلهما في هاته السعادة والصدمة وعدم التصديق معًا.

بقي على بدأ مراسيم العرس ساعات قليلة، مهندسين ديكور ومختصين في الأفراح والأعراس أيام وهم يجهزون ويرتبون ويعملون بجميع الأوقات بلا توقف ولا راحة؛ لتحويل القصر وحديقة القصر إلى جنة سيقام على أرضها وقلبها عرس لبنتي هارون.

ومع أن بدأ حفل الزواج بدأ الخطر سيحدد موقعه، والمنفذون بقى القليل على وصولهم، والمفاجئات والمفاجعات الغير متوقعة تتجهز للظهور.

هارون وسعاد والأولاد كانوا وسعداء جدًا بهذا اليوم، ومنشغلين في هذه المناسبة وهذه السعادة، سعداء لا يدرون أن هذه السعادة سعادة مؤقتة غير دائمة كما يحسبون ويظنون، أخر سعادة وليست بالسعادة الكاملة وإنما هي نصف سعادة وسعادة لن تكتمل، ستقطع في نصفها وقبل اكتمالها.

حضر العرس من طرف العريسين الشخصيات الراقية في المجتمع ومن ناحية العروستين كذلك معارفهم الجدد وأمام كل هؤلاء الناس حاوط أمن المالية المكان كله وتم القبض على هارون وأولاده واصطحبوهم من قلب العرس والتجمع.

كان شكل هارون وعائلته وهم يركبون سيارة الأمن مخجل جدًا لهم وللعريسين وللحضور جميعًا.

بدأ يعود كل شيء إلى الوراء، إلى كما كان عليه في السابق وأكثر.

منال وسلمى لم تكتمل فرحتهما وعرسهما وهذا ليس فقط أضافة تطلقتا قبل الدخول فهم قد ألحقوا العار بالعريسين وأهلهم ومكانتهم وكان الطلاق هو الحل.

ظل هارون وعلي والياس وفاروق ومحمود بالحبس الاحتياطي ثلاثة أيام.

تم التحقيق معهم في كل الجرائم المرتكبة من طرفهم التي مارسوها وهم غافلين لخطورتها وعواقبها وبأنها جرائم فعلًا ليس كما اعتقدوا.

دام التحقيق معهم أيام عديدة منها تم الأفراج على هارون وتم توقيف كل من فاروق وعلي والياس ومحمود واحالتهم إلى المحكمة بتهمة اصدار شيكات بدون رصيد واستعمال شيكات لشخص ميت، وتهمة ابرام صفقات وهمية وغير قانونية والديون التي على عاتقهم من البنوك والأشخاص.

ومع أن خرج هارون وجد سعيد وصاحب المستودع ينتظرانه، ظن أنهم جاءوا ليقفو بجانبه إلا أن ما ظنه كان العكس تمامًا، فصاحب المستودع قدم يطالب بحقه وماله ووعده هارون بأنه في خلال يومين يتم تسديد الدين الذي لم يعرف بعد من أين يحصله.

أما سعيد فقد قدم، ومن قدومه صدمة تلاقاها هارون، صدمت نزلت عليه فكادت تودي بحياته، إذ جاء هذا المحتال يطالب بالقصر وما فيه على أنه ملكًا له بعد ما باعه هارون لسعيد دون علمه بذلك والخطير في الأمر وفي هذا أن هناك فعلًا أوراق رسمية تثبت صحة ما يدعيه ويطالب به سعيد الذي حاصر هارون باحتياله هذا وأمره بأن يخلو له القصر في حدود ثلاثة أيام وأن لم يمتثل لهذا الأمر يأخذه بالقوة القانونية.

بعد سماع هذا الخبر مباشرة أغمى على هارون وتم نقله إلى المستشفى، وبعد معاينته واجراء الفحوصات والتحاليل له تبين مرض هارون القديم الذي تأخر في كشفه وعلاجه.

تحطمت سعاد حزنًا وألمًا بعد سماع الدكتور وهو يخبرها بإصابة هارون بالسرطان، وبوجود ورم خبيث في رأسه يحتاج إلى عملية جراحية بأقصى سرعة، ومستعجلة وهذه العملية خطيرة ومكلفة جدًا ويقوم بها طبيب جراح مختص عالمي سوف يكون داخل الوطن خلال أيام وهو الذي سيجريها لهارون. وخلال هذه الأيام الأفضل للمريض البقاء في المستشفى تحت الرقابة الطبية إلى حلول موعد العملية فحالته لا تسمح الخروج من المستشفى بتاتًا.

نست سعاد والبنتين ما حدث وركزا بحال أبيهم الذي يحتاج إلى دعم نفسي قبل أي شيء.

إلا أن هارون لم يرد البقاء في المستشفى وعلى هذا السرير رغم محاولات الجميع إلا أنه لم يقتنع ولم يقنعوه، وفضل المغادرة.

عاد هارون إلى القصر هو والزوجة والبنتين وجلسوا للتفكير في الكارثة التي وقعو فيها وسلمى ومنال وسعاد وتوصلوا في الأخير ان عملية هارون هي الأهم الآن، ولا بد من توفير مبلغ العملية في الحال.

وضعت سعاد جميع المجوهرات والحُلي التي تمتلكه وبجوزتها أمام قدمي هارون وقالت هذا ثمن عمليتك وشفائك ورجوعك للحياة بصحة جيدة.

كان فرجهم وحلهم ومنجدهم الوحيد هو هذه المجوهرات إلى أن يصل باقي الميراث.

لم تكن تعلم سعاد بأن هذه المجوهرات مزيفة وليست بالحقيقية، ولن تجني منها ربع دينار.

أخذت سعاد جميع المجوهرات إلى محل المجوهرات التي تتعامل معه، فكانت المفاجئة والصدمة الكبيرة لحظتها بأن جميع المجوهرات مزيفة، مجوهرات في الشكل فقط.

حشرتهم الحياة، وضاقت بهم السبل، وإلى الاحتياج عادوا وهم فيه يتخبطون بلا منجد ومساعد كما في الأول.

اتفقوا إلى طرق باب الحل الثاني وهو الاتصال بالمحامي ومعرفة تطورات موضوع الميراث وأين وصل ومتى موعد استلام الجزء المتبقي من التركة ليعرفوا ما عليهم فعله.

وعند اتصالهم به أخبرهم وأعلمهم بأنه قادم إليهم للتحدث وابلاغهم بالمستجدات.

جاء المحامي وهيئته كانت توحي بأخبار ليست بالسارة اطلاقًا جاء وهو يحمل معه الضربة القاضية.

كان من واجب المحامي أن يخبرهم بكل شيء ولا يخفي عنهم أي شيء، لكن المحامي لم يكن يعرف أي باب يفتح على الحقيقة، ومن أين يبدأ.

المحامي لم يكن يملك القدرة الكافية لإخبارهم فينصدمون الصدمة المحطمة التي لم يكونوا ينتظرونها، إلا أن لا بد من القول والمواجهة وانزال الستار.

طلب المحامي من هارون بأن يستدعي الصبر وأن يسمعه جيدًا فالغضب لن يغير شيء من الواقع والحقيقة الموجودة والغالبة.

استعد هارون ومن معه ولكن ليس كل الاستعداد للسماع والتقبل؛ لأنهم كانوا على احساس قوي بأن ما سيخبرهم به المحامي لن يرضيهم ولن يسعدهم، لكن على المحامي أن يفك الحبال المربوطة على لسانه للإفصاح والقول وعليهم هم بمعرفة ما يجب معرفته.

أن صالح الرجل الثري الغني المتوفي ليس له ورثة لا من قريب ولا من بعيد؛ لأنه بكل بساطة لا اخوة ولا أولاد ولا زوجة ولا أقارب له.

اتضح بعد البحث والتدقيق والتأكد من الوريث الوحيد هارون طيلة هذه الفترة وهذه الشهور أن هارون ليس بأخ من الأم لصالح كما كان متضح في بادئ الأمر، فأم هارون أنجبت ولدًا فقط وهو صالح وليست بالأم الحقيقية لهارون، فقد قام زوجها الذي هو من المفروض والد هارون وزوج أم صالح بتبني هارون الذي هو ابن لصديقه الذي توفي هو وزوجته الحامل بهارون وأختًا له في حادث مرور مروع أودى

بحياتهم إلا حياة هارون الذي أنقذوه وولدته أمه وماتت، بقي هارون الرضيع وحده فأخذه الأب في التبني بتربيته ومنحه كنيته واتخذه هو وزوجته أبنا لهم وطيلة هذه السنين هارون لا يعلم بكل هذا.

ومن هذا كله فصالح ليس بالأخ الشقيق لهارون وهارون ليس بالأخ الشقيق لصالح، وبذلك ليس لهارون أدنى الحق في هذا الميراث وألغي من قائمة الوريث الوحيد لهذا الثري.

أن الحياة التي عاشها هارون طيلة هذه الفترة ليست له ولن تكون له بأي شكل من الأشكال ولا بأي طريق من الطرق لا بالقدر ولا بالنصيب لا بالنهب ولا بالقوة لا بالشرع والدين ولا بالقانون.

وأثر هذا الخبر المروع سقط هارون على الأرض مباشرة ساكتًا صامتًا هادئًا ساكنًا لا يتحرك، وانتهى المطاف بالجميع بلا حاضر يأويهم ولا مستقبل ينتظرهم ولا ماضي يقبلهم ويرحب بهم وهم راجعين إليه.

النهاية